المستوى اللغوي للأداء الصوتي في القراءات القرآنية

The linguistic level of vocal performance in the Qur'anic readings

إعداد

د. أحمد عثمان فضيل حسن

Dr. Ahmed Osman Fadel Hassan

أستاذ مشارك جامعة الإمام المهدي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

Doi: 10.21608/mdad.2021.199629

الاستلام: ٢٠٢١/٧/٥م **القبول : ٢٠٢١/٧/٢٢م**

حسن ، أحمد عثمان فضيل (٢٠٢١). المستوى اللغوي للأداء الصوتي في القراءات القرآنية ، ***المجلة العربية مـــداد*** ، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٥ (١٥)، ص ص ١ – ٣٤.

المستوى اللغوي للأداء الصوتي في القراءات القرآنية

المستخلص :

يهدف هذا البحث إلى إبراز القيمة اللغوية للقراءات القرآنية وذلك من خلال الأداء الصوتي لهذه القراءات حيث أنها تشتمل على متغيرات صوتية ينشأ عنها ظواهر صوتية متعددة .

يشتمل هذا البحث على المحاور الآتية :

المحور الأول : تعريف مفهوم القراءة .

المحور الثاني : أنواع القراءة

المحور الثالث : الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية ثم الخاتمة .

Abstract:

This research aims to highlight the linguistic valve of Kovanic reading thorough the avdio performance of these readings as they include voice variable genesis of her multiple a vdio phenomena .

The research includes the followings :

Fivet point : the definition of the concept of reading .

Second point : types of readings .

Third point : A covstic phenomena in the readings .

And conclusion & findings and recommendations

مقدمة

اختلفت آراء علماء المسلمين حول القراءات القرآنية ، فمنهم من قال بتواترها وآخرون قالوا بعدم تواترها .

ذهب جمع من علماء أهل السنة إلى تواتر القراءات السبع أو العشر المشهورة بين الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وذهب آخرون إلى عدم تواترها .

وعلماء الشيعة ذهبوا إلى أن القراءات غير متواترة ، ويوضح رأيهم الإمام الخولي فيقول : (المعروف عند الشيعة أنها غير متواترة ، بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القارئ وبين ما هو منقول بخبر الواحد . واختار هذا القول جماعة من المحققين من علماء أهل السنة ، وغير بعيد أن يكون هذا هو المشهور بينهم)[1] .

ويعني ذلك أنّ علماء المسلمين لم يتفقوا على تواتر القراءات القرآنية .

[1] - البيان في تفسير القرآن ، أبو القاسم الموسوي الخوي ، ط ٣٠ ، مؤسسة إحياء ، إيران ، ص١٢٣ .

أما القرآن ذاته فلم يختلف المسلمون في أنه ينحصر طريق ثبوته والحكم بأنه كلام إلهي بالخبر المتواتر بحسب قول الإمام الخوئي [٢] . ، وقال أيضاً : (ليست بين تواتر القرآن وبين عدم تواتر القراءات أية ملازمة ، لأن أدلة تواتر القرآن وضرورته لا تثبت بحال من الأحوال تواتر قراءاته وكما أنّ أدلّة نفي تواتر القراءات لا تتسرب إلى تواتر القرآن بأي وجه)[٣] .

وهذا يعني أن القرآن غير القراءات ، وأنه لا ملازمة بين ثبوت تواتر القرآن وعدم تواتر قراءاته ، وعله ذلك أن وجود أدلة تثبت تواتر القرآن لا يعني هذا أنها تثبت بأي حال من الأحوال تواتر قراءاته ، وأن القول بعدم تواتر القراءات لا يمس تواتر القرآن بأي وجه من الوجوه .

وهذا البحث سيتناول القراءات القرآنية من حيث الأداء ، وبالتحديد دراسة بعض الظواهر الصوتية المختلفة التي برزت في القراءات القرآنية ، منها تسهيل الهمزة ، واختلاس الحركة ، والمماثلة الصوتية : الكلية والجزئية ، والإمالة ، ونبدأ بتعريف القراءة .

المبحث الأول

تعريف مفهوم القراءة

معنى القراءة

تطلق كلمة (قراءة) في علم القراءات القرآنية على كل قراءة تنسب إلى إمام من أئمة القراءات مّمن اجتمعت عليه الروايات ، وأخذت عنه القراءة وبإحدى الطرق .

مثال ذلك ، نقول في إثبات البسملة : قراءة المكي ورواية قالون عن نافع وطريق الأصبهاني عن ورش[٤] .

ويعني بالرواية : ما نسب للآخذ عن لقارئ ولو بوساطة .

والراوي هو حامل الرواية أو ناقلها .

والراوية هو من كثرت رواياته ، والتاء فيه للمبالغة[٥] .

والطريق هو ما ينسب لمن أخذ عن الرواة ولو سفل .

---

[٢] - المصدر نفسه ، ص١٢٤ .
[٣] - البيان في تفسير القرآن ، الخوي ، مرجع سابق ، ص١٢٥ .
[٤] - ورد المثال في غيث النفع في القراءات السبع ، للصفاقسي ، ص٣٤ .
[٥] - البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ص٣١٩ .

ولكل إمام صاحب قراءة رواة كثيرون قد رووا عنه ، ويوجد راوٍ طرق متعددة .

علم القراءات

يعرّف علم القراءات بأنه علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب ، والحذف والإثبات ، والتحريك والإسكان ، والفصل والاتصال ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع [٦] .

القرآن والقراءات

اختلفت نظرة العلماء نحو القراءات ، فمنهم من عدّها قرآناً مُنزلاً من عند الله ، ومنهم من عدّها حقيقة أخرى .

فمن الفريق الأول الباقلاني إذ يرى أن القراءات قرآن منزل من عند الله تعالى ، وأنها تنقل خلفاً عن سلف ، وأنهم أخذوها من طريق الرواية ، لا من جهة الاجتهاد ، لأن المتواتر المشهور أنّ القُراء السبعة أخذوا القرآن رواية ، لأنهم يمتنعون من القراءة بما لم يسمعوه [٧] .

ومن الفريق الثاني الزركشي ، إذ عدّ القراءات حقيقة أخرى غير حقيقة القرآن فقال : (القرآن قراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز ، والقراءات : اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما) [٨] .

وأوضح الدكتور الصغير الفرق بين حقيقة القرآن وحقيقة القراءات ، فقال : (الحق لا علاقة بين حقيقة القرآن وحقيقة القراءات ، فالقرآن هو النص الإلهي المحفوظ، والقراءات أداء نطق النص اتفاقاً أو اختلافاً والقرآن ذاته لا اختلاف في حقيقته إطلاقاً)[٩]. وهذا القول ينسجم مع الواقع الذي نزل به الوحي المقدس على صدر النبي صلى الله عليه وسلم وطريقة تبليغ النبي أصحابه مشافهة وبأداء خاص ، وصل إلينا في النص القرآني الذي ثبت في المصحف الإمام كما عُرف، وبقراءات اتفقوا عليها أو اختلفوا فيها.

ويؤيد هذا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم: (اقرءوا كما علمتكم) وقد ردده

---

[٦] - البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ص٣٢٠ .
[٧] - نكت الانتصار لنقل القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب ، تحقيق محمد زغلول ، دار المعارف ١٩٧١ ، ص٤١٥
[٨] - البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ص٣١٨ .
[٩] - تاريخ القرآن ، د. محمد حسين الصغير ، الدار العالمية ، ط الأولى ، بيروت ١٩٨٣م ، ص١٢٣ .

الإمام الصادق)[١٠] . وعرض الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) رأي الإمامية حول هذه المسألة فقال: (القرآن نزل بحرف واحد ، على نبي واحد ، غير أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القُراء ، وأن الإنسان مُخير بأي قراءة شاء قرأ ، وكرهوا تجريد قراءة بعينها، بل أجازا القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القراء، ولم يبلغوا بذلك حد التحريموالحظر [١١] .

تشأة القراءات

ربط بعض الباحثين نشأة القراءات القرآنية بمسألة الأحرف السبعة التي وردت في الحديث الشريف الذي روى عن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام بروايات متعددة منها : (إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فأقرءوا ما تيسر منه [١٢].

وقد تعددت الآراء حول معنى الأحرف السبعة ، فحدد بعضهم الغرض من هذه الرخصة التي منحها الله عز وجل فذكر لها عدداً من الأسباب ، معظمها يرتكز على غرض التيسير والتوسعة لهذه الأمة ، إجابة لقصد نبيها أن تقرأ كل أمة بلهجتها وطريقتها في الكلام وما اعتادت على أدائه ، لأن الناس الذين يقرءون القرآن كانوا بمستويات متفاوتة ، وينتمون إلى قبائل متفرقة ، وفي أعمار مختلفة ، يضاف إلى ذلك أن الفرد الكبير يصعب عليه تغيير ما اعتاد على نطقه منذ نشأته الأولى ، ففي ذلك تكلف ومشقة لهذا جاءت الرخصة بحسب رأي فريق من البحثين ، كما ورد الحديث برواية أخرى منها : إن القرآن نزل على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ)[١٣] . وقد تناقضت الروايات التي روى بها الحديث ، وإن هذه الرواية للحديث معارضة برواية أخرى لأبي كريب بإسناده عن ابن مسعود قال : (إن الله أنزل القرآن على خمسة أحرف : حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال)[١٤] .

واختلفوا في تأويل معنى (الأحرف) وتأويل العدد (سبعة).

ويرى الطبري أن الأحرف السبعة هي لغات – أي لهجات – سبع تكون في الكلمة الواحدة [١٥] ، وقد رفض ابن قتيبة صحة هذا القول ، وقال : (إنها لغات سبع متفرقة في

---

١٠ - السبعة في القراءات العشر ، ابن مجاهد ، ص٤٧ .
١١ - التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد الطوسي ، تحقيق أحمد حبيب ، المطبعة العالمية ١٩٥٧م ، ص٧ .
١٢ - صحيح البخاري ، ج ٦ ، ص١٨٥ ، المهدوي ، بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات ، ص١٤٥ .
١٣ - النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، الكتبة التجارية بمصر ، ج ١ ، ص٢١ .
١٤ - تفسير الطبري (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، ديوان المطبوعات ، الجزائر ، ١٩٨١م ، ص٢٤.
١٥ - المصدر نفسه ، ص٥٩ .

القرآن ، والمراد بالحرف هو اللغة [١٦] . ويعني به اللهجة . وزاد ابن الجزري رأياً آخر ، فقال : إن المراد بالأحرف السبعة هو الكثرة والمبالغة لا حقيقية العدد سبعة ، وقد وافقه في هذا الرأي كثير من المحدثين ، منهم سعيد الأفغاني [١٧]، والدكتور إبراهيم أنيس الذي قال : إن المراد بالسبعة هو مجرد التعدد لا حقيقة العدد ، وعلل ذلك بقوله : (لأن العدد سبعة يعبر عن الكثرة والتعدد في الأساليب العربية)[١٨] .

كما أن ابن الجزري عاب على ابن قتيبة وغيره إهمالهم لكثير من أصول القراءات كالإدغام والإظهار والإخفاء ، والإمالة والتفخيم ، وبين بين – يعني بها نطق الهمزة بين التحقيق والتسهيل – والمد والقصر ، كذلك الروم والإشمام ، وقال أيضاً : (إن كل ذلك من اختلاف القراءات وتغاير الألفاظ مما اختلف فيه أئمة القراء ، وقد كانوا يترافعون بدون ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويرد بعضهم على بعض)[١٩] . يظهر مما سبق أن العلماء قد اختلفوا في رواية الحديث كما اختلفوا في تفسير معنى الأحرف ، وكذلك معنى العدد سبعة ، ولكن لم يصل أحد منهم إلى درجة اليقين في تفسير ذلك ، مما يرجح قول من قال: (إنما نزل على حرف واحد وإن الاختلاف قد جاء من قبل الرواة)[٢٠] .

مقاييس القراءة الصحيحة

إن القراءة الصحيحة المستعملة التي لا يجوز ردها ، كما ذكر ذلك ابن الجزري ، نقلاً عن أبي عمرو الداني ، ومكي بن أبي طالب ، وغيرهما هي : (كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصحّ سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحل إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ، سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء أكانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم)[٢١] .

يفهم من النص السابق أن هناك ثلاثة مقاييس يجب أن تتوافر في القراءة بحسب قول من

---

[١٦] - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق سيد صقر ، دار التراث ، القاهرة ، ص٢٦ .
[١٧] - مقدمة في حجة القراءات ، لأبي زرعة ، تحقيق سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢م ، ص٩ .
[١٨] - في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس ، ط٢ ، لجنة البيان العربي بالقاهرة ، ١٩٥٢م ، ص .
[١٩] - النشر في القراءات العشر لإبن الجزري ، ج١ ، ص٢٦ .
[٢٠] - البيان في تفسير القرآن ، الإمام الخوئي ، ص١٩٣ .
[٢١] - النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، ص٩ .

يرى هذا الرأى لتكون القراءة صحيحة وهي :

١. موافقتها للعربية ولو بوجه واحد .
٢. موافقتها لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً .
٣. صحة سندها .

وفيما يأتي توضيح لكل مقياس من هذه المقاييس الثلاثة :

المقياس الأول :

إن توافق تلك القراءة وجهاً من وجوه النحو العربي ، أي كونها غير خارجة عن لسان العربي سواء أكان ذلك على الوجه الفصيح أم الأفصح ، فمثل تلك القراءة صحيحة حتى وإن لم يجمع النحاة على الأخذ بذلك الرأي ، أي حتى لو اختلفتا فيه اختلافاً لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع فلا يؤثر فيها إنكار بعضهم لتلك اللغة ما دامت القراءة قد أخذت عن الأئمة وتتمتع بالإسناد الصحيح ، ولها وجه من وجوه العربية .

المقياس الثاني :

موافقة القراءة لأحد المصاحف العثمانية

ويعني به أن تكون تلك القراءة موافقة لما رسم في أحد المصاحف العثمانية .

لذا لا يصح الأخذ مما خالف رسم المصحف العثماني المجمع عليه .

ومن وجوه الاختلاف في الحروف التي نزل عليها القرآن الكريم علة مذهب أصحاب هذا القول ما يأتي: [٢٢]

أ. ما تختلف فيه الألفاظ ومعانيه متفقة ، واختلاف الألفاظ يقع على ضروب منها :
١. التقديم والتأخير في بعض الألفاظ كقراءة (وجاءت سكرة الحق بالموت)[٢٣] وهي في المصحف العثماني (وجاءت سكرة الموت بالحق)[٢٤] .
٢. ومنها ما يكون بزيادة لفظ كقراءة (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر)[٢٥] .

[٢٢] - بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي ، تحقيق حاتم الضامن ، ج١ ، ص١٤٩ .
[٢٣] - المحتسب لابي الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، ص٢٨٣
[٢٤] - سورة ق الاية (١٩)
[٢٥] - تفسير الطبري ص٥٥٤

وما ورد في المصحف العثماني هو (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطي)[٢٦] .

وقرئ أيضاً : (فَطَلِّقُهُنَّ لِقُبُل عِدّتِهِنَّ)[٢٧] بزيادة (لقُبُل) وما ورد في المصحف العثماني(فَطَلِّقُهُنَّ لِقُدّتِهِنَّ)[٢٨] .

٣. ومنها ما يكون بنقصان ، فقد قرئ (حم سق)[٢٩] بغير عين ، وفي المصحف العثماني صورته : (حم عسق)[٣٠] .

٤. ومنها ما يكون بإبدال كلمة مكان أخرى كقراءة (الصوف المنقوش)[٣١] وفي المصحف العثماني : (كالعِهْنِ المَنْفُوش)[٣٢]

ب. وقد تبدل كلمة مكان اخرى والمعني مختلف كقراءة (الم ذلك الكتاب)[٣٣] .

ت. وما ورد في المصحف العثماني (ألم تنزيلُ الكتابِ)[٣٤] ويرى المهدوي أن جميع ما ورد فيما سبق لا يقرأ بشئ منها لمخالفتها رسم المصحف العثماني المجمع عليه .

ث. وقول ابن الجزري موافقتها لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً يعني بذلك ما يوافق الرسم ولو تقديراً إذ أن موافقة الرسم قد تكون تخفيفاً ، وهي الموافقة الصريحة ، وقد تكون تقديراً وهي الموافقة احتمالاً . وضرب ابن الجزري مثالاً لذلك فقال : (قد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقاً ويوافقه بعضها تقديراً نو (ملك يوم الدين) فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف فقراءة الحذف تحتمله تخفيفاً أي لتخفيف النطق ، وقراءةً ، كما كتب (ملك الناس) وقراءة الألف محتملة تقديراً ، كما كتب (مالك الملك) فتكون الألف حذفت اختصاراً .

المقياس الثالث :

صحة السند :

فسّر ابن الجزري عبارة (صحة سندها) بقوله : (نعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله كذا حتى تنتهي وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له ، غير معدودة من الغلط ، أو مما شذ بها بعضهم) .

---

[٢٦] - سورة البقرة الاية (٢٣٨) .
[٢٧] -بيان السبب ، المهدوي ، ص٤٩ .
[٢٨] - سورة الطلاق الاية (١) .
[٢٩] - المحتسب ، ابن جني ، ص٢٤٤ .
[٣٠] - سورة الشورى الاية (١-٢) .
[٣١] - بيان السبب ، المهدوي ، ص١٤٩ .
[٣٢] - سورة القارعة الاية (٥) .
[٣٣] - المصدر نفسه ، ص١٥٠ .
[٣٤] - سورة السجدو الاية (١)

نستنتج من النص السابق أن القراءة الصحيحة يجب أن يتوافر ركن آخر ، هو أن يكون سند تلك القراءة صحيحاً .

وتتحقق صحة السند بما يأتي :

١. يقتضي أن تصدر تلك القراءة عن راوٍ عادل .
٢. أن يسندها إلى راوٍ آخر يتصف بالعدل أيضاً ، وهذا بدوره يسندها إلى عادل آخر ... وهكذا مع بقية الرواة .
٣. تسند الرواية أخيراً إلى الصحابي الذي سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم .

كما ذكر ابن الجزري شروطاً أخرى تثبت صحة القراءة هي :

أ. أن تكون القراءة مشهورة عند أئمة القراءة الضابطين لأدائها .
ب. لا يعد القُراء هذه القراءة من الغلط .
ت. لا يعدون قارئها قد شذ عنهم بقراءتها .

وعقب الإمام الخوئي على من يقول بجواز القراءة بكل واحدة من القراءات السبع أو العشر في الصلاة ، ومن يقول : بجواز القراءة في الصلاة بكل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها ، فقال : (الحق أن الذي تقتضيه القاعدة الأولية هو عدم جواز القراءة في الصلاة بكل قراءة لم تثبت القراءة بها من النبي الأكرم صلي الله عليه وآله وسلم أو من أحد أوصيائه المعصومين عليهم السلام لأن الواجب في الصلاة هو قراءة القرآن فلا يكفي قراءة شئ لم يحرز كونه قرآناً)[٣٥] .

ويجيب الإمام الخوئي على من يقول : إن القراءات وإم لم تكن متواترة إلا أنها منقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتشملها الأدلة القطعية التي أثبت حجية الخبر الواحد ، فقال :

(**أولاً :** إن القراءات لم يتضح من كونها رواية لتشملها هذه الأدلة ، فلعلها اجتهادات من القراء)

(**ثانياً :** إن رواة كل قراءة من هذه القراءات لم يثبت وثاقتهم أجمع ، فلا تشمل أدلة حجية خبر الثقة روايتهم) .

(**ثالثاً** : إنا لو سلمنا أن القراءات كلها تستند إلى الرواية ، وأن جميع رواتها ثقات ، إلا أنا نعلم علماً إجمالياً أن بعض هذه القراءات لم تصدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

[٣٥] - البيان في تفسير القرآن ، الامام الخوئي ، ص١٦٦ .

قطعاً ، ومن الواضح أن مثل هذا العلم يوجب التعارض بين تلك الروايات وتكون كل واحدة منها مكذبة للأخرى ، فتسقط جميعها عن الحجية) ..

(وهذه النتيجة حاصلة أيضاً إذا قلنا بتواتر القراءات فإن تواتر القراءتين المختلفتين عن النبي صلى الله عليه وسلم يورث القطع بأن كلاً من القراءتين قرآن منزل من الله ، فلا يكون بينهما تعارض بحسب السند ، بل يكون التعارض بينهما بحسب الدلالة ، فإذا علمنا إجمالاً أن أحد الظاهرين غير مراد في الواقع ، فلا بد من القول بتساقطهما والرجوع إلى الأصل اللفظي أو العملي ، لأن أدلة الترجيح ، أو التخيير تختص بالأدلة التي يكون سندها ظنياً فلا تعم ما يكون صدوره قطعياً)[٣٦].

وبهذا يصل الإمام الخوئي إلى نتيجة مفادها أن لا معنى لتخصيص الجواز بالقراءات السبع أو العشر ، وذهب إلى أنه تجوز القراءة في الصلاة بكل قراءة كانت متعارفة في زمان أهل البيت عليهم السلام ، وهذا يشمل السبع والعشر وغيرها ، بشرط أن لا تكون شاذة ، وبين حجته في ذلك فقال : (كانت هذه القراءات معروفة في زمانهم ولم يرد عنهم أنهم ردعوا عن بعضها ولو ثبت الردع لوصل إلينا بالتواتر ولا أقل من نقله بالآحاد بل ورد عنهم عليهم السلام إمضاء هذه القراءات لقولهم (إقرأ كما يقرأ الناس) . (اقرؤوا كما علمتم) . وعلى ذلك فلا معنى لتخصيص الجواز بالقراءات السبع أو العشر)[٣٧] .

المبحث الثاني

أنواع القراءة

أنواع القراءات

تتحدد أنواع القراءات بحسب رأي من ذكر المقاييس الثلاثة السابقة الذكر على النحو الآتي :

١/ القراءة المتواترة :

وهي القراءة الصحيحة المنسوبة للقُراء السبعة أو لغيرهم ، وهي التي تتوافر فيها المقاييس الثلاثة السابقة .

٢/ القراءة الشاذة :

ذهب القُراء في تعريف هذه القراءة مذهبين :

---

[٣٦] - النشر في القراءات العشر ، لإبن الجزري ، ص١٦٤

[٣٧] - البيان في تفسير القرآن ، الامام الخوئي ، ص١٦٧ .

الفريق الأول : يسمى القراءة شاذة عند توافر المقياس الأول (وهو موافقتها العربية) والثالث (وهو صحة سندها) . وهذا يعني من دون توافر المقياس الثاني (أي عدم موافقة رسم مصحف الإمام) .

وتسمى هذه القراءة شاذة ، لكونها شذّت عن رسم المصحف المجمع عليه ، وإن كان سندها صحيحاً .

الفريق الآخر : جعل القراءة الشاذة فيما فقد التواتر من المقياس الثالث ، أي مهما تجتمع المقاييس الثلاثة في قراءة بسند صحيح غير متواتر ، فهي عندهم شاذة [٣٨] . وأجمعوا على تحريم القراءة بالشاذ في الصلاة أو في غيرها [٣٩]

وحدد السيوطي أنواع القراءات بالآتي :

١. المتواتر : وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه وغالب القراءات كذلك .
٢. المشهور : وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ، ووافق العربية والرسم ، واشتهر عن القراء .
٣. الآحاد : وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر بالاشتهار المذكور ، ولا يقرأ به .
٤. الشاذ : وهو ما لم يصح سنده .
٥. الموضوع : وهو ما لا أصل له .
٦. ما زيد في القراءات على وجه التفسير [٤٠] .

القراءات السبع والقُراء السبعة :

أولاً : القراءات السبع :

تطلق هذه التسمية على القراءات التي اختارها وجمعها ابن مجاهد (المتوفي سنة ٣٢٤هـ) . واشتهرت عنه [٤١] . بنسبة تلك القراءات إلى أئمة سبعة .

والسبب في اختيار ابن مجاهد هذا يرجعه العلماء إلى كثرة الرواة عن أئمة القراءات، مما أتاح الفرصة لأهل الأهواء والبدع لاستغلال قراءة معينة بما يحقق ما في نفوسهم

[٣٨] - حجة القراءات ، لأبي زرعة ، تحقيق سعيد الأفغاني ، المقدمة ، ص١٤ .
[٣٩] - تاريخ القرآن ، د. عبد الصبور شاهين ، دار القلم بمصر ، ص٢٠٦ .
[٤٠] - الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ط٢ ، مطبعة البابي الجلي بمصر ، ص٢١٦ .
[٤١] - الإبانة عن معاني القراءات ، لمكي بن أبي طالب ، تحقيق محي الدين رمضان ، ط١ ١٩٧٩م ، ص٦٤ .

من أغراض ، لذلك تحفز العلماء للاعتناء بشأن القرآن الكريم وحصر قراءاته على أئمة مشهورين بالثقة والأمانة بالنقل وحسن الدراية ، لذلك يقول مكي بن أبي طالب في وصف المقرئ الذي اختير ضمن القُراء السبعة : (أراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به ، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة في النقل وحسن الدين وكمال العلم قد طال عمره واشتهر أمره بالثقة وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل ، وثقته فيما قرأ وروى ، وعلمه بما يقرأ فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم)[٤٢] .

ثانياً : القُراء السبعة :

بعد أن وصف مكي بن أبي طالب صفة القُراء السبعة بين كيفية انمتقائهم ، فقال: (فأفردوا من كل مصر وجه عثمان مصحفاً ، إماماً يعني به مقرناً إماماً هذه صفته وقراءته على مصحف ذلك المصر .

فكان أبو عمرو من أهل البصرة .

وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوداها ، والكسائي من أهل الكوفة أيضاً ، وهو مولى بني أسد ، من تابع التابعين .

وابن كثير من أهل مكة .

وابن عامر من أهل الشام .

ونافع من أهل المدينة ، كلهم ممن اشتهرت إمامته ، وطال عمره في افراء وارتحال الناس إليه من البلدان ... وأول من اقتصر على هؤلاء أبو بكر ابن مجاهد قبل سنة ثلاث مائة أو في نحوها [٤٣] .

المصحف العثماني والمصحف الإمام :

المصحف العثماني قد رسم بهجاء خاص واتبعت فيه قواعد معينة ، وسمي بالمصحف العثماني نسبة إلى عثمان بن عفان عندما أمر بجمع مصاحف الصحابة لكتابة مصحف واحد يجمعها ثم قام بإحراق ما خلف هذا المصحف .

وقد اختلف في عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق ، فالمشهور خمسة ، وقيل أربعة ، وقيل سبعة ، وحبس بالمدينة واحداً [٤٤] .

---

[٤٢] - المصدر نفسه ، ص٦٣ .
[٤٣] - الابانة ، مكي ابن أب طالب ، ص٦٤ .
[٤٤] - الاتقان ، السيوطي ، ج١ ، ٦٠ .

وقيل : (وجّه بمصحف إلى البصرة ، ومصحف إلى الكوفة ، ومصحف إلى الشام ، وترك مصحفاً بالمدينة ، وأمسك لنفسه مصحفاً الذي يقال له (الإمام) ووجه بمصحف إلى مكة وبمصحف إلى اليمن وبمصحف إلى البحرين)[٤٥] .

هل المصحف العثماني مشتمل على الأحرف السبعة ؟

بردّ ابن الجزري على هذا السؤال بقوله : (وأما كون المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة ، فإن هذه مسألة كبيرة اختلف العلماء فيها ، فذهب جماعات من الفقهاء والقُراء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة ... وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط)[٤٦] .

ويعلل الداني خلو المصاحف مما وجد فيها اليوم من شكل وإعجام ، كي يبقى المجال واسعاً للقارئ في اختيار القراءة المروية التي يريد أن يأخذ بها[٤٧] .

والحق أن الرسم [٤٨]، غير القراءة ، لأن القراءة مصدرها الرواية ، والرسم مصدره طريقة الكتابة المعروفة .

وذكر ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن أن الرسم العثماني اختلف عن الرسم الإملائي في عدة صور .

فألف الاثنين تحدف في هجاء هذا المصحف في كل مكان مثل (قال رجلن) فالألف بعد اللام في (رجلان) لا تكتب بل توضع ألف صغيرة في مكانها .

وقال أيضاً : وكتب كتاب المصاحف الصلوة والزكوة والحيوة بالواو ونحن لا نكتب الصلاة والحياة إلا بالألف[٤٩]

وسيتضح لنا سبب كتابة الألف واواً في أداء بعض القراءات القرآنية عند الحديث عن التغييرات الصوتية .

المبحث الثالث

الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية

---

[٤٥] - النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، ص٧ .
[٤٦] - المصدر نفسه ، ص٣١ .
[٤٧] - المحكم في نقط المصحف ، عثمان بن سعيد الداني ، ط ، ج١ ، دمشق ١٩٦٠م ، ص٣ .
[٤٨] - يقصد بالرسم رسم الحروف الهجائية التي تدل على الحكم .
[٤٩] - القرآن وأثره في الدراسات النحوية ، د. عبد العال سالم مكرم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨م ، ص١٩ .

وهي التغيرات الصوتية في أداء بعض القراءات القرآنية .

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها في بعض في أثناء الأداء ، نتيجة ميل الإنسان بطبيعته إلى التيسير والتسهيل ، لاختصار الجهد العضلي الذي يبذله حين النطق ،فيلجأ إلى تغيير بعض الأصوات بأصوات أخرى ، أيسر في النطق ، وأكثر تآلفاً مع الأصوات المجاورة لها ، ليحصل الانسجام الصوتي في أثناء الأداء .

ومن تلك المظاهر الصوتية التي وردت في أداء بعض القراءات القرآنية ما يأتي :

أولاً : تسهيل الهمزة وتخفيفها :

تسهيل الهمزة معروف منذ القدم ، حيث مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منه في النطق [٥٠] .

أما عند العرب فكان تحقيق الهمزة من خصائص لهجات القبائل البدوية ، وهي التي كانت تسكن وسط الجزيرة وشرقيها ، أي تميم وما جاورها .

وتسهيل الهمزة عرف عند عرب الحجاز ، وهم لا ينبرون الهمزة ، أي لا يحققونها ، إلا إذا أرادوا محاكاة التميمين في تحقيقها ، ويستلطفون تسهيلها لما لهذا الأداء من نغمة موسيقية محببة لديهم ، تستريح إليها الأذن عند سماعه بتمطيط الصوت إضافة إلى أن الجهد العضلي المبذول في التسهيل أقل منه مع التحقيق ، وبخاصة عندما تلتقي همزتان في كلمتين ، وهما مختلفتا الإعراب ، فذكر أبو زرعة [٥١] لمثل هذه الحالة ستة أوجه ، وجه منها لم يأت في القرآن ، وهي الهمزة المكسورة التي بعدها همزة مضمومة ، كقولك : (هؤلاء أُمراء) وباقي الأوجه موجود في القرآن على النحو الآتي :

١. الهمزة المضمومة التي بعدها همزة مفتوحة كقوله تعالى : (... السُفهاءُ ألا ...)[٥٢] فتهمز الأولى، أي همزة (السفهاء) وتخف الثانية ، أي همزة (ألا) ، وتنحو بها نحو الألف ، أي تميل بنطق الهمزة نحو الألف .
٢. الهمزة المضمومة التي بعدها همزة مكسورة ، كقوله تعالى : (... ولا يأب الشهداءُ إذا ما دُعُوا)[٥٣] فتحقق الهمزة الأولى وهي في كلمة (شهداء) وتنحو بالثانية نحو الياء من غير أن تكسرها ، وهي همزة (إذا) .
٣. الهمزة المفتوحة التي بعدها همزة مكسورة كقوله تعالى: (أَمْ كُنْتُمْ شُهدَاءَ إذا

---

٥٠ - اللهجات العربية ، ابراهيم أنيس ، ص٧٧ .
٥١ - حجة القراءات ، لأبي زرعة ، ص٩٠ .
٥٢ - سورة البقرة الاية (١٣) .
٥٣ - سورة البقرة الاية (٢٨٢) .

حضر...) [٥٤] . فتحقق الهمزة الأولى ، وهي همزة (شهداء) وتنحو بالثانية نحو الياء من غير أن تكسرها ، وهي همزة (إذا).

٤. الهمزة المفتوحة التي بعدها همزة مضمومة كقوله تعالى : (كل ما جاءَ أُمّة رسولُها كذّبُوه)[٥٥] فتحقق الهمزة الأولى وهي في كلمة (جاء) وتنحو بالثانية نحو الواو من غير ضمّ وهي همزة (أُمة) .

٥. الهمزة المكسورة التي بعدها همزة مفتوحة كقوله تعالى : (أأمِنتم من في السماءِ أن يخسف)[٥٦] فتحقق الهمزة الأولى ، وهي في (السماء) وتنحو بالهمزة الثانية نحو الألف ، وهي همزة (أن) ونسب أبو زرعة [٥٧] إلى نافع وابن كثير وأبي عمرو هذه الأوجه من القراءة .

ويقول : إن حجتهم في تلك القراءة هي : (أنّ العرب تستثقل الهمزة الواحدة فتخففها في أخفّ أحوالها ، وهي ساكنة نحو (كاس) فتقلب الهمزة ألفاً ، فإذا كانت تخفف ، وهي وحدها ، فإن تخفف ، ومعها مثلها أولى)[٥٨] .

أما ابن عامر وأهل الكوفة فقد قرءوا بهمزتين في جميع تلك الأوجه ، وحجتهم في تلك القراءة أنهم أرادوا التحقيق وتوفية كل حرف حقه من حركته ونصيبه من الإعراب .

وإذا التقت الهمزتان وهما متفقتان في الإعراب وذلك أن تكونا مكسورتين كهمزة (هؤلاء) وهمزة (إن) في قوله تعالى : (هؤلاءِ إن كنتم ...)[٥٩] أو تكونا مفتوحتين كهمزة (جاء) وهمزة (أمرنا) في قوله تعالى : (جاءَ أمرنا)[٦٠] ، أو تكونا مضمومتين كالهمزة الأخيرة في (أولياء) والهمزة الأولى في (ألئك) في قوله تعالى : (أولياءُ أُلئك)[٦١] .

فقرأ ابن عامر وأهل الكوفة جميع ذلك بتحقيق الهمزتين .

وقراءة ورش عن نافع ، والقواس عن ابن كثير بتحقيق الهمزة الأولى وياينان الثانية ويشيران بالكسر إليها . وفي المفتوحتين يشيران بالفتح إليها ، وفي المضمومتين يشيران بالضم إليها .

---

٥٤ - سورة البقرة الاية (١٣٣) .
٥٥ - سورة المؤمنين الاية (٤٤) .
٥٦ - سورة الملك الاية (١٦) .
٥٧ - المصدر نفسه ، حجة القراءات ، ص٩١ .
٥٨ - حجة القراءات ، لأبي زرعة ، ص٩٢ .
٥٩ - سورة الملك الآية (٢٥) .
٦٠ - سورة هود الآية (٤٠) .
٦١ - سورة الأحقاف الآية (٣٢) .

ويبدو أن عِلة تسهيل الهمزة الثانية هو لأجل التخفيف واختصار الجهد العضلي ، لأن نطق الهمزة يحتاج إلى جهد لحبس الهواء ، ثم انفتاح العضو الذي حبس الهواء فبعد أن يتم ذلك مع الهمزة الأولى يصعب تكرار العمل نفسه مع الهمزة الثانية ، أو يحصل العكس ، أي تخفف الأولى كي يمكن تحقيق الهمزة الثانية . والتجارب الحديثة لعملية الكلام أثبتت (أنّ الصدر لا يواصل ضغطاً ثابتاً خلال المجموعة النفسية وأن عضلات الصدر تنتج نبضة منفصلة من الضغط لكل مقطع)[٦٢] .

لذلك لجأ العرب إلى تسهيل إحدى الهمزتين عند تجاورهما في حالات معينة وقد نبّه سيبويه على مثل ذلك فقال : (وليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا ، ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الآخرة ، وهو قول أبي عمرو : وذلك قولك : (فقد جاء أشراطها) ، (ويا زكريّا إنّا نُبشِّرُكَ) ومنهم من يحقق الأولى ويخفف الآخرة . سمعنا ذلك من العرب وهو قولك : (فقد جاء أشراطها ، ويا زكريا إنا)[٦٣] .

ومن أمثلة القراءات التي ورد فيها تسهيل إحدى الهمزتين المتجاورتين :

في قوله تعالى : (أأنذرتم)[٦٤] جاءت القراءات على النحو الآتي :

١. قرأ أبو عمرو ونافع وقالون [٦٥] وغيرهم بتسهيل الهمزة الثانية وإدخال ألف بين الهمزتين .
٢. وقرأ ابن كثير وورش بتسهيل الثانية وعدم إدخال ألف .
٣. وقرأ ابن عامر بألف ([٦٦]) بين همزتين .
٤. وقرأ ورش بإبدال الهمزة الثانية ألفاً .
٥. وقرأ ابن كثير وابن محيصن والزهري [٦٧] بحذف همزة الاستفهام .

ومن أمثلة تسهيل الهمزة الواحدة ما يأتي :

قرأ أبو عمرو وورش عن نافع (يومنون) بغير حمزة في قوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب)[٦٨] وقرئ أيضاً (يأكلون)[٦٩] و (تومرون)[٧٠] بغير همز ويعني

---

[٦٢] - دراسة الصوت اللغوي ، د. أحمد مختار عمر ، ط الأولى ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٧٦م ، ص٢٣٧

[٦٣] - الكتاب ، لسيبويه ، تحقيق عبد السلام هرون ، دار القلم ، القاهرة ١٩٦٦م ، الجزء (٣) ، ص٥٤٩ .

[٦٤] - سورة البقرة الآية (٦) .

[٦٥] - أبو حيان ، البحر المحيط ، ج١ ، ص٤٧ .

[٦٦] - الكشاف ، الزمخشري ، ج١ ، ص٢٦ .

[٦٧] - تفسير الطبري ، ج١ ، ص١٨٥ ، وتفسير الرازي ، ج١ ، ص١٧٨ .

[٦٨] - سورة البقرة الآية (٢) .

[٦٩] - سورة البقرة الآية (٢٧٥) .

ذلك التسهيل في الهمزات الساكنة وترك ورش الهمزة المتحركة أيضاً فقرأ قوله تعالى : (لا يواخذكم)[٧١] (ولا يوده)[٧٢] ويهمز أبو عمرو الهمزة المتحركة ، بينما الباقون يهمزون الجميع (الساكنة والمتحركة) .

ثانياً : اختلاس الحركة :

الاختلاس هو عدم إكمال نطق الحركة فيأتي القارئ بثلثيها أو بأكثرها [٧٣] ، فتكون الحركة بذلك ضعيفة الاعتماد ، قال ابن جني : (فأما الحركة الضعيفة المختلسة كحركة همزة بين بين وغيرها من الحروف التي رياد اختلاس حركاتها تخفيفاً ، فليست حركة مُشَمَّة شيئاً من غيرها من الحركتين ، وإنما أُضعف اعتمادها ، وأُخفيت لضرب من التخفيف ، وهي بزنتها إذا وُقّيت ولم تختلس)[٧٤] .

ومن أمثلة القراءات التي وردت باختلاس الحركة ما يأتي :

قرأ أبو عمرو والدوري [٧٥] (بارِئكم) في قوله تعالى : (فتوبوا إلى بارئكم)[٧٦] باختلاس الحركة أي مختلساً غير ممكن كسر الهمزة وقرأ الباقون بإشباع الحركة على الأصل ، وعقّب ابن جني على هذه القراءة ، فقال : (مختلساً غير ممكن كسر الهمزة ، حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادّعى أن أبا عمرو كان يسكّن الهمزة والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لا حذفها البتة ، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القُراء الذين رووه ساكناً)[٧٧] .

ويبدو لي أنّ هذا الاختلاف بين رواية الإسكان والاختلاس ناتج عن اختلاف قوة السمع بين الرواة ، فمن تتصف أذنه بقوة السمع يحس باختلاس الحركة والعكس صحيح.

وهناك أمثلة أخرى من القراءات ورد فيها الاختلاس مثل قراءة أبي عمرو وابن محيصن قوله تعالى : (يأمُرُكم)[٧٨] باختلاس حركة الراء وقراءة نافع لقوله تعالى : (فيه هدى)[٧٩] باختلاس كسرة الهاء .

---

[٧٠] - سورة البقرة الآية (٦٨) .
[٧١] - سورة البقرة الآية (٢٢٥) .
[٧٢] - سورة آل عمران الآية (٧٥) .
[٧٣] - البناء ، إتحاف فضلاء البشر ، ص١٩٨ – أحمد بن محمد الدمياط .
[٧٤] - سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، ج١ ، ص٥٦ .
[٧٥] - إعراب القرآن ، النحاس ،ج١ ص٧٦ .
[٧٦] - سورة البقرة الآية (٥٤) .
[٧٧] - الخصائص ، ابن جني ، ج١ ، ص٧٢ .
[٧٨] - سورة البقرة الآية (١٦٩) .
[٧٩] - سورة البقرة الآية (٢) .

ثالثاً : المماثلة :

قلنا : إن الأصوات اللغوية يتأثر بعضها في بعض في أثناء الأداء تأثراً يؤدي أحياناً إلى المماثلة التامة فيحدث الإدغام ، وأحياناً أخرى تقترب الأصوات من بعض في المخرج أو الصفة ، فتحدث المماثلة الجزئية .

وتختلف الأصوات في نسبة التأثر ، فهناك من الأصوات ما يكون سريع التأثر بالأصوات الأخرى ، فيندمج في غيره بنسبة أسرع مما يحدث مع أصوات أخرى ، وسبب حدوث ذلك هو من أجل الانسجام الصوتي واختصار الجهد العضلي الذي يبذله الإنسان في أثناء النطق ، وهي ظاهرة شائعة في كل اللغات البشرية ، غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثير ، وفي نوعه ، ولم يبتعد ذلك التأثير عن طبيعة اللغة العربية ، وبخاصة في أثناء تطورها في لهجات الكلام .

وقديماً نبّه على هذه الظاهرة علماء اللغة العربية ، فعقد سيبويه لذلك باباً سمّاه (المضارعة) فقال : (هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه)[٨٠] .

والمضارعة هنا المشابهة والتماثل .

والتماثل إما أن يكون تماثلاً تاماً بين الصوتين المتجاورين بحيث يفني أحمدها في الآحر، فيحدث ما يعرف بالإدغام كما أوضحنا ، وهذا هو التماثل التام ، ويسمى التماثل الكلي.

وأما أن يكون التماثل غير تام فيحدث التقارب وهو ما يسمى بالتماثل الجزئي .

وفيما يأتي تفصيل ذلك :

١. التماثل الكلي :

من التماثل الكلي الذي يسمع في الأداء القرآني والإدغام .

والإدغام هو (أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله ، من غير أن تفصل بينهما بحركة ، أو وقف ، فيرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة)[٨١] .

ويأتي الإدغام على ضربين :

أ. إدغام المثلين : ويحدث هذا الإدغام بين الصوتين المتماثلين سواء أكان الأول منهما

---

[٨٠] - الكتاب ، لسيبويه ، ج٢ ، ص٤٢٦ .

[٨١] - التكملة ، أبو على الفارسي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٤م ، ص٢٧٣ .

ساكناً في الأصل كالطاء من (قطّع) وأصلها قططَع أم متحركاً كالميم الأولى من (شمَّ) وأصلها شممّ .

ويحدث الإدغام عند اجتماع حرفين متماثلين في كلمتين متجاورتين ويكون الأول غير مصحوباً بحركة أي ساكناً ، والثاني مصحوباً بحركة ، كقوله تعالى : (أضرب بعصاك)[٨٢] ، وقله تعالى : (قل لا أجد فيما أوحي إلىّ)[٨٣] .

وإذا التقى المثلان المتحركان وجب الإظهار ، ولكن قرأ أبو عمرو ويعقوب (مناسِكُمْ) بالإدغام[٨٤]

في قوله تعالى : (مناسِككُمْ)[٨٥] .

ب. إدغام المتقاربين :

ويحدث ذلك عند تجاور حرفين مختلفين في الصفة أو متقاربين في المخرج ، ومثل هذا التجاور للأصوات ثقيل على اللسان عند النطق بما يتجاذب كل حرفين مختلفين في الصفة أو متقاربين في المخرج وينجر أحدهما إلى الآخر ليتحدا في المخرج والصفة ويصبحا متماثلين كما هو الحال في إدغام اللام من (ال) التعريف فيما يليها من الحروف الشمسية .

والحالة الثانية هى إدغام النون الساكنة ، ومثلها التنوين مع بعض الحروف الأخرى .

وهذا يأتي في حالتين :

أ- الإدغام التام : ويعني هذا فناء الصوت في الآخر فناءً تاماً أي يصبح الصوتان المتقاربان صوتين متماثلين في المخرج والصفات ، وسمّاه القُراء إدغاماً بغير غنّة ، ويأتي عند تجاور صوت النون الساكنة أو التنوين مع صوت اللام أو الراء ، وهذا مشهور عند علماء التجويد .

ويأتي أحياناً بإدغام اللام في النون نحو قراءة الكسائي (بل نّتبع)[٨٦] .

ومثال ذلك أيضاً إدغام الدال في الضاد في قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي

---

٨٢ - سورة البقرة الآية (٦٠) .
٨٣ - سورة الأنعام الآية (١٤٥) .
٨٤ - إعراب القرآن ، النحاس ، ج١ ، ص٢٧٣ .
٨٥ - سورة البقرة الآية (٢٠٠) .
٨٦ - سورة البقرة الآية (١٧٠) .

وغيرهم[٨٧] لقوله تعالى : (فقد ضلّ)[٨٨] .

ب- الإدغام الناقص : ويعني هذا أنه لا يتم فيه فناء أحد الصوتين في الآخر فناءً تاماً ، بل تبقى بعض آثار الصوت المدغم كبقاء غنّة النون بعد إدغامها في الواو أو الياء كما في قراءة قوله تعالى : (من ورائهم)[٨٩] .

ويسمى القُراء هذا الإدغام ناقصاً ،لأنه لم يفن الصوت فناءً تاماً ، بل بقيت صفة من صفاته وهي صفة الغنّة أي خروج الهواء من الخيشوم إذ إن نطق النون يحتاج إلى إعتمادين الأول وضع اللسان عن اللثة والاعتماد الآخر السماح بخروج الهواء من الخيشوم فتسمع الغنّة ، فعندما يترك أحد الاعتمادين ، أي عندما لا يضع القارئ اللسان عند اللثة ويبقى الهواء يخرج من الخيشوم عند نطقه بهذا الصوت عندئذٍ نسمي الإدغام ناقصاً أو إدغاماً بغنة ، ويعد هذا تماثلاً جزئياً فيخرج هنا من دائرة التماثل الكلي الذي نتكلم عنه حالياً .

وجميع الأصوات تقبل الإدغام في بعضها إلا أصوات الحلق فإنها تستعصي على الإدغام فهي لا تقبل الفناء في غيرها [٩٠] .

قال د. أنيس عن الأمثلة القرآنية للإدغام : (نلحظ أنها قد خلت من إدغام أصوات الحلق في مجانسها أو مقاربها إلا مثلاً واحداً أباح الإدغام فيه كثير من القُراء ، وهو إدغام الحاء في العين في قوله تعالى : (فمن زُحزِحَ عن النَّار ..) [٩١])[٩٢] .

وذكر أن القوانين الصوتية تبرر هذا الإدغام ، لأنه لا فرق بين الحاء والعين إلا في أنّ الأولى مهموسة والثانية نظيرها المجهور .

أما إدغام المثلين من حروف الحلق ، فقد جاء في قراءة أبي عمرو ويعقوب وابن محيصن وغيرهم [٩٣] بإدغام الهاء في الهاء في قوله تعالى : (فيه هدىً)[٩٤] بعد إسكان الأول من المثلين وتحريك الثاني فينطق عندئذٍ حرفاً واحداً مشدداً وقُرأ الباقون بالإظهار وحجة من يدغم ذكرها أبو زرعة فقال : (أسكن الحرف الأول وأدغم في الثاني ، ليعمل اللسان مرة واحدة وشبّه الخليل ذلك بالمُقيّد إذا رفع رجله في موضع ثم أعادها إليه ثانية

---

٨٧ - غيث النفع في القراءات السبع ، الصفاقسي ، دار الفكر ، بيروت ، ص١٣٤ .
٨٨ - سورة البقرة الآية (١٠٨) .
٨٩ - سورة الكهف الآية (١٧) .
٩٠ - اتحاف فضلاء البشر ، البناء الدمياطي ، ص٢٧ .
٩١ - سورة آل عمران الآية (١٨٥) .
٩٢ - تفسير الطبري ، ج١ ، ص١٦ – ابن خالويه ، الحجة ص٦٣ .
٩٣ - الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦١م ، ص١٨٨ .
٩٤ - سورة البقرة الآية (٢) .

قال : والذي أوجب الإدغام هو أن يثقل على اللسان رفعه من مكان وإعادته في ذلك المكان فيما يقرب منه ، وشبّه غيره بإعادة الحديث مرتين)[٩٥] .

٢. التماثل الجزئي :

أما التماثل الجزئي فيكون عندما يتقارب الصوتان المتجاوران فيؤثر أحدهما في الآخر من دون فناء أحد الصوتين فناءً تاماً ، ويقع في الحروف الصحاح (الصوامت) ويقع أيضاً في الحركات (الصوائت) وفيما يأتي تفصيل ذلك :

أ. التماثل الجزئي في الحروف الصحاح (الصوامت) :

مثّل له ابن جني في الخصائص فقال : (ومن ذلك أن تقع السين قبل الحرف المستعلي فتقرب منه بقلبها صاداً .. وذلك كقولهم في سقت : صقت ، وفي السوق : الصوق)[٩٦] وهي بالصاد لهجة قريش ولهجة بلعنبر ، قال الفراء : (ونفر من بلعنبر يصيّرون السين ، إذا كانت مقدمة ثم جاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء ، صاداً وذلك أن الطاء حرف تضع فيه لسانك في حنكك فينطبق به الصوت ، فقلبت السين صاداً صورتها صورة الطاء واستخفّوها ، ليكون المخرج واحداً كما استخفّوا الإدغام) .

فمن ذلك قولهم الصراط والسراط ، قال وهي بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب ، قال : (وعامة العرب تجعلها سيئاً)[٩٧]

فقوله صورته صورة الطاء ، أي أن السين حين قلبت صاداً أصبحت تحمل صفة الإطباق ، فصارت صورتها صورة الطاء في ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق عند نطقها فاستخفّوا هذا النطق .

وقوله ليكون المخرج واحداً ، يعني به حدوث التماثل الجزئي بين السين والطاء حين قلبت السين صاداً فأقترب نطقها من الطاء ، لأنها حملت صفة الإطباق حين نطقها صاداً ، وأن الصاد مطبقة أيضاً مثل الطاء ، فكأن اللسان ارتفع ارتفاعة واحدة في نطقها لتوحدها بصفة الإطباق ، وهي ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق ، حين انقلبت السين صاداً فأنسجم الأداء في نطق الصوتين المتجاورين .

وتمثلت هذه الظاهرة عند قُراء القرآن الكريم في صور متنوعة وردت في قراءة (الصراط) في قوله تعالى : (الصراط المستقيم)[٩٨] على النحو الآتي:

---

[٩٥] - حجة القراءات ، لأبي زرعة ، ص٨٤ .
[٩٦] - الخصائص ، ابن جني ، ص٤٢ ، ج٤ .
[٩٧] - لسان العرب ، ابن منظور ، دار لسان العرب ، بيروت ، مادة (سرط) .
[٩٨] - سورة الفاتحة الآية (٦) .

١- قرأ ابن كثير والكسائي وأبو عمرو ويعقوب وغيرهم (السراط) بالسين على الأصل .ة
٢- وقرأ أبو عمرو وحمزة ، والدوري وغيرهم [٩٩] بإشمام الصاد زاياً أي بنطقها بين الصاد والزاي ، علل سيبويه سبب عدم إبدالها زاياً خالصة فقال : (ولم يبدلوها زاياً خالصة كراهيّة الإجحاف بها للإطباق)[١٠٠] .

ووصف هذا الصوت ابن جني فقال : (الصاد التي كالزاي ، فهي التي يقل همسها قليلاً ، ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاي)[١٠١] .

٣- وقرأ حمزة وأبو عمرو أيضاً (الزراط) بالزاي ، وخطّأها الفراء ، فقال : (فأمّا ما حكاه الأصمعي من قراءة بعضهم (الزراط) بالزاي المخلصة ، فخطأ إنما سَمِعَ المضارعة فتوهمها زاياً ، ولم يكن الأصمعي نحوياً فيؤمن على هذا)[١٠٢] .

قال ابن منظور : (الصراط لغة في السراط ، والصاد أعلى لمكان المضارعة ، وإن كانت السين هي الأصل .

وذكر ابن خالويه في الحجة قراءاتها على النحو الآتي :

١. الحجة لمن قرأ بالسين أنه جاء به على أصل الكلمة .
٢. والحجة لمن قرأ بالصاد لتآخي السين في الهمس والصفير وتؤاخي الطاء في الإطباق ، لأن السين مهموسة والطاء مجهورة (هذا في نظر القدماء . أما المحدثون فيرون أن الطاء مهموسة) .
٣. والحجة لمن أشم الزاي : لتؤاخي السين في الصفير وتؤاخي الطاء في الجهر [١٠٣]

ومن أمثلة ذلك الإمالة والإشمام :

والإشمام : هو نوع من الإمالة ، وسيتضح عند الحديث عنها ، فيما يأتي :

الإمالة :

وتسمى البطح أو الإضجاع أو اللّي ، ويكاد يتفق القدماء على تعريفها تعريفاً يحمل مضموناً واحداً ، من هذه التعريفات :

---

[٩٩] - إعراب القرآن ، النحاس ، ج١ ، ص١٢٤ .
[١٠٠] - الكتاب لسيبويه ، ج٢ ، ص٤٢٦ .
[١٠١] - سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، ج١ ، ص٥٠ .
[١٠٢] - لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (سرط) .
[١٠٣] - الحجة في القراءات السبع ، لإبن خالويه ، دار الشروق ، ط٤ ، ١٩٨١م ، ص٦٢ .

تعريف الزمخشري (ت: ٥٣٨) (أن تنحو بالألف نحو الياء ليتجانس الصوت)[١٠٤] .

وابن يعيش (ت : ٦٤٣) (عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء)[١٠٥] .

وابن هشام (ت : ٧٦١هـ) (أن تذهب بالفتحة جهة الكسرة)[١٠٦]

وهذه التعريفات وغيرها تتفق على أن الإمالة جنوح بالألف إلى صوت الياء وبالفتحة إلى صوت الكسرة ، وذلك للانسجام والتقريب بين الأصوات ، أي تناسب صوتين صائتين وتقاربهما ، وذلك لأن نطق الألف وهو فتحة طويلة باستواء اللسان في قاع الفم كما ذكر ابن يعيش في تعريفه السابق وهو ما أبدته الدراسات الحديث [١٠٧] .

وعندما تنحو به نحو ياء المد وهي كسرة طويلة وتنطق بارتفاع أول اللسان أقصى ما يصل إليه نحو الحنك الأعلى بحيث لا يحدث الهواء المار بينهما أي نوع من الحفيف ، فأي مقدار يرتفع به أول اللسان نحو الحنك يعد إمالة نحو الكسرة ، لأنك عدلت عن استواء اللسان سواء أكانت الكسرة قصيرة أم طويلة ، فلذلك راجع إلى مقدار زمن النطق، فالكسرة إذا أشبعت صارت ياء مدّ ، لذلك تسمع الإمالة عندما يتجاور الألف (وهي فتحة طويلة) مع غير الحروف المستعلية أي (الصاد ، الضاد ، الطاء ، والظاء، والعين، والخاء، والغين) .

وذلك لأن نطق الكسرة يحتاج إلى ارتفاع مقدمة اللسان وهذا يعني أن تنحو بالفتحة (وهي تنطق باستواء اللسان في قاع الفم) نحو الكسرة (وهي تنطق بارتفاع مقدمة اللسان نحو سقف الحنك) .

وعند الإمالة يتصعد اللسان نحو وضع الكسرة فترتفع مقدمته قليلاً ، وهذا الارتفاع لا يتناسب والحروف المستعلية التي تنطق بارتفاع مؤخرة اللسان للتعارض الذي يحدث بين مقدمة اللسان ومؤخرته حيث لا يمكن أن ترفعا مرة واحدة أو بالتناوب إلا بتكلف يتحاشاه الناطق لميله بطبيعته إلى التيسير واختصار المجهود ، لذلك تمنع الإمالة إذا وقعت قبل أحد الحروف المستعلية أو بعدها .

وقد نبّه سيبويه على منع حدوث الإمالة مع الحروف المستعلية فقال :

(وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى ، وبالألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى ، فلما كانت مع هذه الحروف

---

١٠٤ - شرح المفضل ، ابن يعيش ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ج٩ ، ص٥٣ .

١٠٥ - المصدر نفسه ، ص٥٤ .

١٠٦ - أوضح المسالك ، ابن هشام الأنصاري ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م ، ص١٧٩ .

١٠٧ - الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، ص٣٢ .

المستعلية غلبت عليها كما غلبت الكسرة عليها في مساجد ونحوها ، فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلى ، وقربت من الألف ، كان العمل من وجه واحد أخف عليهم ، كما أنّ الحرفين إذا تقارب موضعهما كان رفع اللسان من موضع واحد أخفّ عليهم فيدغمونه)[١٠٨] .

وأّد المحدثون ما ذهب إليه سيبويه والنحاة العرب فيما ذكروه من أسباب تمنع الإمالة ، وأضافوا إلى الحروف المستعلية صورة الراء واللام المفخمين والسبب في ذلك ، لأنّ تفخيمهما يحتاج إلى استعلاء ، فلا تمال اللف معهما ، لأن في الإمالة تصعّد نحو الحنك الأعلى فيصعب تحقيقها .

قرأ حمزة [١٠٩] (خافوا)[١١٠] بالإمالة للألف بعد الخاء .

واستنكر سيبويه من يميل الألف مع تلك الحروف المستعلية ، وقال : (ولا نعلم أحداً يميل هذه الألف إلا من لا يأخذ بلغته)[١١١].

إلا أن سيبويه يستثنى في حالة خاصة ورود الإمالة في الألف مع وجود حرف من حروف الاستعلاء فيقرر جواز قراءة (خاف) بالإمالة على الرغم من وجود الخاء وهو حرف مستعل ، ويرجع سبب ذلك إلى أنّ في صيغة (خفت) كسرة ، فيقول في سبب الإمالة في (خاف) (لأنه يروم الكسرة التي في خفت كما نحا نحو الياء)[١١٢] ويعني هذا أن سيبويه تنبّه لشعور القارئ وأحاسيسه عندما يقرأ (خاف) فإنه سيتأثر بما عرف من وجود كسرة عندما يسند الفعل للمتكلم ، فيقال (خِفت) [١١٣] .

وقد وردة عدة قراءات بإمالة الألف مع تجاور أحد حروف الحلق نحو :

قراءة حمزة (فمن خاف)[١١٤] و(زاغ)[١١٥] بالإمالة .

وقرأ حمزة وهاشم ، وابن ذكوان والداجوني : (وخاب)[١١٦] بالإمالة .

أما القراءات التي وردت فيها إمالة الألف مع الحروف غير المستعملة فأمثلتها كثيرة

---

١٠٨ - الكتاب ، سيبويه ، ج٤ ، ص١٢٩ .
١٠٩ - البحر المحيط ، أبو حيان ، ص١٧٨ .
١١٠ - سورة النساء الآية (٩) .
١١١ - الكتاب ، سيبويه ، ج٤ ، ص١٢٩ .
١١٢ - المصدر نفسه ص ١٣١ .
١١٣ - الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، ص١٦٢ .
١١٤ - سورة البقرة الآية (١٨٢) . إعراب القرآن ، النحاس ، ص٢٣٤ .
١١٥ - سورة النجم الآية (١٧) . غيث النفع ، الصفاقسي ، ص٣٥٩ .
١١٦ - سورة إبراهيم الآية (١٥) . النشر في القراءات العشر ، لابن الجذري ، ص٦٠ .

منها :

قراءة حمزة والكسائي (من قراء الكوفة) ونافع (المدني) وأبو عمرو (البصري)[١١٧] وخلف (البغدادي) وغيرهم لقوله تعالى: (والضحى والليل إذا سجى)[١١٨] بإمالة الألف في (الضحى) نحو الياء.

وقرأ بالإمالة أيضا حمزة في: (جاء) [١١٩] وقرأ حمزة والكسائي وخلف ، وغيرهم : (استوى)[١٢٠] .

وقرأ بالإمالة ـ أيضا ـ حمزة والكسائي وورش: (فسوَّهنّ)[١٢١] .

مما سبق اتضحت لنا إمالة الألف نحو الياء وهي المماثلة الجزئية في الحركات كما ذكرها القراء ، ووفق ذلك ذهب نحاة العرب القدماء وعدّوا الإمالة جنوح الألف نحو صوت الياء والفتحة نحو صوت الكسرة ، وذلك(لضرب من تجانس الصوت)[١٢٢]

وقد وهم ابن جني ومن ذهب مذهبه من القدماء في وجود فتحة قبل الألف تمال حيث قال: (أما الفتحة المشوبة بالكسرة فالفتحة التي قبلها الإمالة نحو فتحة عين عابد وعارف، وذلك أن الإمالة إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت، فكما أن الحركة ليست فتحة محضة ، فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفاً محضة وهذا هو القياس لان الألف تابعة للفتحة، فكما أن الفتحة مشوبة ، فكذلك الألف اللاحقة لها .

ومثل هذا وهم لا تقره الدراسات الحديثة في علم الأصوات اللغوية إذ لا فتحة قبل الألف في (حساب) ولا كسرة قبل ياء (عليم) ولا ضمة قبل واو (فول) ، لأنه لا فرق بين الفتحة والألف في مخرج الصوت أو في صفاته ، فحين يبدأ الناطق بإخراج صوت الفتحة فإنه لا يتغير المخرج (أي مكان خروج الهواء عند النطق بعد التقاء عضوي جهاز النطق أو تقاربهما) ولا تغير صفاته (وهي التي تحدد بالعوائق التي تواجه الهواء في أثناء خروج الهواء للنطق بالصوت) فإذا لم يتغير المخرج ولا الصفات ، فالصوت الذي يسمع حينئذٍ سيكون واحداً ، والفرق في الكمية لا في النوعية ، وكما قال ابن جني :

---

[١١٧] ـ تفسير الرازي ، ص١٨٩ .
[١١٨] ـ سورة الضحى الآية (٢) .
[١١٩] ـ سورة النساء الآية (٤٣) .
[١٢٠] ـ سورة البقرة الآية (٢٩) .
[١٢١] ـ سورة البقرة الآية (٢٩) .
[١٢٢] ـ تفسير الرازي ، ص١٨٩ .

واعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين . وهي الألف والياء والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث ، وهي الفتحة والكسرة والضمة ،فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو . وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة[١٢٣]

ومن هذا النص نفهم أن الفتحة بعد الألف ، ويعني هذا أن الفتحة جزء من الألف ، فإذا حدثت الإمالة في الجزء الأول ، فلابد أن تسري الإمالة إلي الجزء الآخر للحرف لتوحد جزئي الألف بالمخرج والصفات .

وعلى الرغم من شيوع الإمالة في الألف (الفتحة الطويلة) نحو الياء (الكسرة الطويلة) فإنها تقع أيضاً مع الحركات الأخرى علي النحو الآتي :

١ ــ إمالة الفتحة نحو الضمة .

٢ ــ إمالة الكسرة نحو الضمة.

٣ ــ إمالة الضمة نحو الكسرة .

وفيما يأتي توضيح ذلك :

١ ـ إمالة الفتحة نحو الضمة :

حدد ابن جني هذه الحركة فقال : هي (التي تكون قبل ألف التفخيم ، وذلك نحو : الصلاة ، والزكاة و دعا ، وغزا ، وقام وصاغ ، وكما أن الحركة أيضا هنا قبل الألف ليست فتحة محضة ، بل هي مشوبة بشي من الضمة . فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة لأنها تابعة لحركة هذه صفتها ، فجرى عليها حكمها)[١٢٤]

ويعني بهذه الألف هي الفتحة الطويلة الممالة نحو الضم ، وقد ورد ت في قراءة بعض القراء لكلمة (الصلاة) قال عنها سيبوية : (يعني بلغة أهل الحجاز في قولهم : الصلاة والزكاة والحياة)[١٢٥] .

وقرأ الأزرق بتغليظ اللام في (الصلوة)[١٢٦] وهذا يعني أن الألف ستكون مغلّظة أيضاً، والألف هي فتحة طويلة وعند تغليظها يكون اللسان مرتفعاً بسبب التفخيم وهذا هو جنوح نحو الضمة عندما يكون الارتفاع من مؤخرة اللسان ، وهو ما يحدث في نطق

---

١٢٣ ـ المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٧

١٢٤ ـ سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، ص١٧ .

١٢٥ ـ الكتاب ، سيبويه ، ص٤٣٢ .

١٢٦ ـ سورة المائدة الآية (١٢) . سورة النساء الآية (١٠٣) .

الصلاة بدليل رسم هذه الحركة علي هيئة الواو ، فكتبت هكذا : (صلوة) و (زكوة) و(حيوة) وعلل ابن جني سبب كتابة ألف التفخيم في (الصلاة) و(الزكاة) بصورة الواو فقال : (كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو ، لان الألف مالت نحو الواو ، كما كتبوا إحديهما وسوِّيـــهُنّ بالياء لمكانة إمالة الفتحة قبل الألف إلي الكسرة) .

وأشار د. تمام حسان . إلي سبب آخر لرسم هذه الحركة الطويلة واواً ، فقال عن هذه الحركة : (لمّا جاورت أصواتاً غير مطبقة فخشي مدونو القرآن الكريم علي تفخيم الألف، فلهذا السبب كتبوها في صورة الواو ليعلم القارئ أن هذه الألف مفخمة)[١٢٧]

وذكر د. احمد علم الدين الجندي (أن الكتابة العربية قد أخذت من النبطية التي كانت تكتب فيها بالواو- وكذلك في الكتابات العربية الجنوبية . وقد كتبت هذه الكلمات في المصحف بالواو- والذين كتبوه من قريش والكتابة مرآة للهجات كاتبيه ، وهذا ما جعل الداني يقول : رسموا في كلّ المصاحف الألف واواً في أربعة أصول مطردة ، وأربعة أحرف متفرقة ، (كمشكوة) و(النجوة) و (منوة) فكأنهم توهموا لشدة التفخيم عندهم أنها واو ، فرسموها كذلك)[١٢٨]

ويبدو أنّ سبب رسم الفتحة الطويلة واو هو الإشارة إلي استدارة الشفتين بسبب إمالة الفتحة نحو الضمة عند نطقها مع اتساع الضم نتيجة لحركة الفك الأسفل مع ارتفاع مؤخرة اللسان قليلاً ، فبذلك يحدث الصوت المفخم الذي ينتج عن هذه الوضعية للفم .

ووصف الدكتور تمام حسان حالة الفم عند النطق بهذا الصوت فقال : (يصير الفم في مجموعة حجرة رنين صالحة لإنتاج القيمة الصوتية التي نسميها التفخيم علي لغة الحجاز)[١٢٩]

ويظهر أن نطق هذه الحركة (الفتحة) الممالة نحو الضمّ يكون عملها عكس الإمالة نحو الكسرة السابقة الذكر حيث يتصعد اللسان فيها نحو الجزء الخلفي للحنك ، أي بإدخال جرس خلفي علي الفتحة الطويلة وذلك يحدث ـ غالباً ـ عندما تكون مجاورة للحروف المفخمة .

٢ ــ إمالة الكسرة نحو الضمّة :

ويسميها القراء والنحاة (الإشمام) ، وهي الكسرة المشوبة بالضمة ومثل لها ابن جني بـــ(قُيِل)

---

[١٢٧] ـ اللغة العربية معناها ومنبأها ، تمام حسان ، ص٥٣ .
[١٢٨] ـ اللهجات في التراث ، أحمد علم الدن الجندي ، ص٢٨٣ .
[١٢٩] ـ اللغة العربية معناها ومبناها ، مام حسان ، ص٥٤ .

و(بُيِع) و(غُيِض) و(سُيِق) وأضاف قائلاً : (وكما أن الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة ، فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو)[١٣٠]

وقرأ كل من الكسائي ونافع ويعقوب وهاشم والأعمش وغيرهم (وإذا قيل لهم)[١٣١] بإشمام كسرة القاف الضمّ .

ونسب أبو زرعة القراءة إلي الكسائي ، وقال : كذلك يفعل في(غُيض)[١٣٢] و(سُيءَ)[١٣٣] (وحُيل)[١٣٤] ، و(جُيء)[١٣٥] و(سيق)[١٣٦] .

وبين أبو زرعة حجة الكسائي في الإشمام فقال: (لما كان الأصل في كل ذلك (فُعِلَ) بضم الفاء التي يدل ضمها علي ترك تسمية الفاعل ، أشار في أوائلهنَّ إلي الضم لتبقي بذلك دلالة علي معنى ما لم يسم فاعله وأن القاف كانت مضمومة[١٣٧] من ذلك نفهم أن القارئ ينحو بقراءة الإشمام بالكسرة نحو الضمة ، فيميل الياء الساكنة بعدها ، وذلك للإشارة إلي أن فاء الفعل مضمومة في الأصل .

٣ ـ إمالة الضمة نحو الكسرة :

وهي الضمة المشوبة بالكسرة ومثل لها ابن جني بـ (مذعُور) و(ابن بُور) وفسر ذلك بقوله: (نحوت بضمة العين والباء نحو كسرة الراء فأشممتها شيئا من الكسرة)[١٣٨] هذه هي الضمّة الممالة نحو الكسرة القصيرة .

أما الطويل فبينها ابن جني وعد الواو التي ترد بعد تلك الضمة المشوبة بالكسرة هي واو ليس محضة ، فقال : (وكما أن هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة ، ولا كسرة مرسلة ، فكذلك الواو ايضا بعدها هي مشوبة بروائح الياء) ونسب ابن جني هذا الرأي إلي سيبويه وأيده في ذلك ، وذكر سبباً له فقال: (هو الصواب، لأن هذه الحروف تتبع الحركات قبلها ، فكلما أن الحركة مشوبة غير مخلصة ، فالحرف اللاحق بها أيضاً في حكمه) ويعني (في حكمه) أي تكون الواو مشوبة بروائح الياء . ومثل هذه

---

١٣٠ ـ سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، ص٥٣ .
١٣١ ـ سورة البقرة الآية (١١) . سورة النساء الآية (٦١) .
١٣٢ ـ سورة هود الآية (٤٤) .
١٣٣ ـ سورة هود الآية (٧٧) .
١٣٤ ـ سورة سبأ الآية (٥٤) .
١٣٥ ـ سورة الزمر الآية (٦٩) .
١٣٦ ـ سورة الزمر الآية (٧١) .
١٣٧ ـ حجة القراءات ، لأبي زرعة ، ص٩٠ .
١٣٨ ـ سر صناعة الإعراب ، ابن جني ص٥٣ .

القراءة التي ذكرها سيبويه خالفها أبو الحسن الإخفش إذ كان يقول : مررت بمذعور، وهذا ابن بور ، فيشم الضمة قبل الواو رائحة الكسرة ويخلص واوا محضة البتة)[١٣٩] واعترض ابن جني علي قراءة أبي الحسن بهذا التكلف أي بنطقه الواو خالصة محضة بعد ضمة مشوبة بالكسر ، فقال " وهذا تكلف فيه شدة في النطق ، وهو مع ذلك ضعيف في القياس " وقول ابن جني " هذا تكلف ... وهو ضعيف في القياس " أي أن القارئ لا ان ينطق الضمة مشوبة بالكسرة وبعدها واو خالصة من دون تكلف ، لأن القياس في ذلك هو أن تنحو بالواو أيضاء نحو الياء وإلا حدث التكلف في النطق عندئذ.

وورد في القراءات إمالة الواو الصحيحة نحو الكسرة ، نعني بها ليست هي واو المد ، أي الواو المفتوحة ـ مثلا قال عنها ابن جني (الياء والواو لما تحركتا قويتا بالحركة فلحقتا بالحروف الصحاح) ، فمن ذلك قراءة أبي عمرو والكسائي وحمزة (للتقوى)[١٤٠] بالإمالة ، أي بإمالة الواو ونحو الياء .

وقرأ حمزة والكسائي وخلف (والتقوى)[١٤١] بالإمالة وقرأ حمزة والكسائي وورش[١٤٢] (مَأواهم)[١٤٣] بالإمالة أيضاً .

هذا هو حال الضمة الممالة نحو الكسرة .

ولا تجد الكسرة ولا الضمة مشوبة بشيء من الفتحة ، وسبب ذلك ذكره ابن جني فقال : (إن الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق والكسرة بعدها ، والضمة بعد الكسر ، فإذا بدأت بالفتحة ، وتصعدت تطلب صدر الفم والشفتين وإجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو ، فجاز أن تشمها من الكسرة أو الضمة لتطرقها إياهما ، ولو تكلفت أن تُشِمَّ الكسرة الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت إلي أول الحلق ، فكان في ذلك انتقاض عادات الصوت بتراجعه إلي ورائه ، وتركه التقدم إلي صدر الفم ، والنفوذ من الشفتين ، فلما كان في إشمام الكسرة أو الضمة رائحة الفتحة هذا الانقلاب والنقص ترك ذلك فلم يتكلف البتة)[١٤٤] .

وقال أيضاً : إن بين الضمة والكسرة من القرب والتناسب ما ليس بينهما وبين الفتحة ، فجاز أن يتكلف نحو ذلك بين الضمة والكسرة لما بينهما من التجانس .

---

[١٣٩] ـ المصدر نفسه ، ص٥٤ .
[١٤٠] ـ سورة المائدة الآية (٨) .
[١٤١] ـ سورة المائدة الآية (٢)
[١٤٢] ـ غيث النفع ، الصفاقسي ، ص١٢٥ .
[١٤٣] ـ سورة النساء الآية (١٢١) .
[١٤٤] ـ سر صناعة إراب ، ابن جني ، ج ، ص٢٠ ، والخصائص ص١٤٨ .

الخاتمة :

الحمد لله الذي وفقني لكتابة هذا البحث والذي تباينت فيه الآراء حيث اختلفت وجهة نظر العلماء نحو القراءات ، فمنهم من عدها قرآنا من منزلاً عند الله ، ومنهم من عدها حقيقة أخرى غير حقيقة القرآن الكريم ، وربط بعض الباحثين بين نشأة القراءات ومسألة الأحرف السبعة ، واختلفوا ــ أيضا ـ في تفسير معنى الأحرف السبعة ، واختلفوا في معنى العدد سبعة ، ولكل فريق أدلته الخاصة التي يدلل بها على صحته ما ذهب إليه ن كل ذلك لم يكن على أساس اليقين على الرغم من ذكر كل فريق عددا من الآلة والحجج . وهذا الاختلاف يرجح القول القائل عن القرآن الكريم : "إنما نزل على حرف واحد ، وإن اختلاف قد جاء من الرواة ".

وذهب بعض علماء القراءات إلي أن القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها هي كل قراءة وافقت الغربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها عن الرسول (ص) لا. وهكذا حدد هؤلاء العلماء المقاييس الثلاث التي يحكمون بموجبها على صحة القراءة .

ورد الإمام الخوئي هذا الرأي بقوله : الحق إن الذي تقتضيه القاعدة الأولية هو عدم جواز القراءة في الصلاة بكل قراءة لم تثبت القراءة بها من النبي الأكرم (ص) أو من أحد أوصياءه المعصومين (ع) لأن الواجب في الصلاة هو قراءة القرآن الكريم فلا يكفي قراءة شيء لم يحرز كونه قرآنا .

وللقراءات أحكام خاصة في أداء بعض القراءات القرآنية تتمثل بالتغيرات الصوتية التي تطرأ علي نطق بعض الأصوات عند تجاوزها في كلمة واحدة أوفي كلمتين متجاورتين ، وهنالك حالات خاصة تسربت إلي بعض القراءات القرآنية تتضمن تغيرات في بعض الأصوات الصوامت ، وهنالك تغيرات أخرى حدثت في بعض الأصوات الصوائت (الحركات) .

ومن التغيرات في الصوامت : (تسهيل الهمزة) في قراءة بعض القراءات التي جاءت على لسان كبار القراء مثل أبي عمرو ، وابن عامر ونافع وقالون ، وورش وغيرهم .

ومن التغييرات في الصوامت أيضا (المماثلة الكلية) وحودث الإدغام أي إدغام المثلين الصامتين كما جاء علي لسان أبي عمرو وحمزة والدوري بإشمام ويعقوب في إدغام الكاف في مثيلتها ، وإدغام المتقاربين الصامتين ، كما جاء علي لسان الكسائي في إدغام اللام في النون .

ومنها (التماثل الجزئي) ، فيكون التقارب بين الصوتين المتجاورين، وأيضاً جاءت على لسان أبي عمرو وحمزة والدوري بإشمام الصاد زايا ، أي نطقها بين الصاد

والزاي .

أما التماثل الجزئي في الحركات (الصوائت) فجاء في عدة صور منها : (الإمالة) التي وردت علي لسان عدد كبير من القراء وركز هذا البحث علي الإمالة التي وردت في الحركات التي تجاورت مع أصوات صامتة حلقية المخرج علي الرغم من قلة ورود مثل هذه الحالات ، فجاءت قراءة حمزة في (خاف)و(زاغ) بالإمالة . كما قرأ حمزة وهشام وابن ذكوان في (خاب) بالإمالة أيضا .

ولم تقتصر الإمالة علي إمالة الفتحة (القصيرة أو الطويلة) نحو الكسرة (القصيرة أو الطويلة) وإنما شملت إمالة الفتحة نحو الضمة ، وهي الألف في (الصلوة) بالواو إشارة إلي ضم الشفتين.

وشملت إمالة الكسرة نحو الفتحة ويسميها القراء والنحاة بـ (الإشمام) وهي الكسرة المشوبة بالضمة ، وقرأ بها الكسائي ونافع وهشام والأعمش وغيرهم : (قيل) بإشمام كسرة القاف الضم وشملت إمالة الضمة نحو الكسرة أيضا ، قرأ بها الكسائي وخلف "بالإمالة كما قرأ حمزة والكسائي وورش (مأوهم) بالإمالة .

ومما تجدر الإشارة إلية هو خلو اللغة العربية بأدائها من إمالة الكسرة نحو الفتحة وإمالة الضمة نحو الفتحة ، وذلك لعله صوتية تتعلق بالاحتراز من رجوع الناطق إلي أول الحلق وتركة التقدم بنطقه إلى صدر الفم ، والنفوذ من الشفتين .

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- البيان في تفسير القرآن ، أبو القاسم الموسوي الخوي ، ط ٣٠ ، مؤسسة إحياء ، إيران .

٣- ورد المثال في غيث النفع في القراءات السبع ، للصفاقسي

٤- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل .

٥- نكت الانتصار لنقل القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب ، تحقيق محمد زغلول ، دار المعارف ١٩٧١

٦- تاريخ القرآن ، د. محمد حسين الصغير ، الدار العالمية ، ط الأولى ، بيروت ١٩٨٣م.

٧- السبعة في القراءات العشر ، ابن مجاهد

٨- التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد الطوسي ، تحقيق أحمد حبيب ، المطبعة العالمية ١٩٥٧م

٩- صحيح البخاري ، ج ٦ ، ص١٨٥ ، المهدوي ، بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات.

١٠- النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، الكتبة التجارية بمصر ، ج ١ .

١١- تفسير الطبري (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، ديوان المطبوعات ، الجزائر ، ١٩٨١م .

١٢- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق سيد صقر ، دار التراث ، القاهرة .

١٣- مقدمة في حجة القراءات ، لأبي زرعة ، تحقيق سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢م ، ص٩ .

١٤- في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس ، ط٢ ، لجنة البيان العربي بالقاهرة ، ١٩٥٢م

١٥- بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي تحقيق حاتم الضامن ، ج١ .

١٦- المحتسب لابي الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ،

بيروت .
١٧- حجة القراءات ، لأبي زرعة ، تحقيق سعيد الأفغاني ، المقدمة .
١٨- تاريخ القرآن ، د. عبد الصبور شاهين ، دار القلم بمصر .
١٩- الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ط٢ ، مطبعة البابي الجلي بمصر
٢٠- الإبانة عن معاني القراءات ، لمكي بن أبي طالب ، تحقيق محي الدين رمضان ، ط١ ١٩٧٩م .
٢١- الابانة ، مكي ابن أب طالب .
٢٢- المحكم في نقط المصحف ، عثمان بن سعيد الداني ، ط ، ج١ ، دمشق ١٩٦٠م
٢٣- يقصد بالرسم رسم الحروف الهجائية التي تدل على الحكم .
٢٤- القرآن وأثره في الدراسات النحوية ، د. عبد العال سالم مكرم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨م .
٢٥- اللهجات العربية ، ابراهيم أنيس .
٢٦- دراسة الصوت اللغوي ، د. أحمد مختار عمر ، ط الأولى ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٧٦م .
٢٧- الكتاب ، لسيبويه ، تحقيق عبد السلام هرون ، دار القلم ، القاهرة ١٩٦٦م ، ج٣ .
٢٨- أبو حيان ، البحر المحيط ، ج١ .
٢٩- الكشاف ، الزمخشري ، ج١ .
٣٠- البناء ، إتحاف فضلاء البشر – أحمد بن محمد الدمياط .
٣١- سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، ج١
٣٢- إعراب القرآن ، النحاس ،ج١ .
٣٣- الخصائص ، ابن جني ، ج١ .
٣٤- التكملة ، أبو على الفارسي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٤م ،
٣٥- إعراب القرآن ، النحاس ، ج١ .
٣٦- غيث النفع في القراءات السبع ، الصفاقسي ، دار الفكر ، بيروت .

٣٧- الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦١م ،
٣٨- لسان العرب ، ابن منظور ، دار لسان العرب ، بيروت ، مادة (سرط) .
٣٩- شرح المفضل ، ابن يعيش ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ج٩ .
٤٠- أوضح المسالك ، ابن هشام الأنصاري ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م
٤١- اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان.